## ١٢ـ مجيء (كان) تامة

قال تعالى : ﴿ brßÜ»z ùèd #Œfù Z‰ïnºr Zsø¹ ŠvÎ ÍR‰. bÎ ﴾[١].

قال الفراء : « وقوله : ﴿ Z‰ïnºr Zsø¹ ŠvÎ ÍR‰. bÎ ﴾ نصبتها القراء إلا أبا جعفر فإنه رفعها[٢] على ألا يضمر في "كانت" اسمًا ، والنصب إذا أضمرت فيها ، كما تقول : "اذهب، فليس إلا الله الواحدُ القهارُ" ، و"الواحدَ القهارَ" على هذا التفسير . وسمعت بعض العرب يقول لرجل يصفه بالخبِّ : " لو لم يكن إلا ظِلُّه لخابَّ ظِلُّه" ، والرفع والنصب جائزان» [٣].

ذهب الفراء في قراءة أبي جعفر : « إنْ كانت إلا صيحةٌ واحدةٌ » إلى أنَّ "كان" فيها تامة مكتفية بالمرفوع عن المنصوب[٤] ، والتقدير : " إنْ حدثت أو وقعت إلا صيحة"[٥].

وتابعه في هذا الرأي الطبري[٦] والنحاس[٧] والزمخشري[٨] والعكبري[٩] وأبو حيان[١٠]

---

(١) يس : آية ٢٩. ومثل هذه الآية قراءة وتوجيهًا عند الفراء : قراءة الجمهور برفع "ذو" من قوله تعالى : ﴿ šc ‰. bÎr ç»fÏ šc qãZ? b‰tƒ ﴾ [ البقرة: من الآية ٢٨٠] ، وقراءة رفع "تجارة" من قوله تعالى : ﴿ ¤£•B 4‹Î•èY‰ ¤ãã rè nZÅ‰n ﴾ [ البقرة : من الآية ٢٨٢] ، وهي في معاني القرآن على الترتيب : ١/١٨٥، ١٨٦.

(٢) قرأ أبو جعفر وحده برفع "صيحة" ، وقرأ باقي العشرة بالنصب . المبسوط ٣٧٠ ، والنشر ٢/٣٥٣، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٣٩٩-٤٠٠.

(٣) معاني القرآن ٢/٣٧٥.

(٤) للفراء حديث عن "كان" التامة في غير المواضع السابقة . ينظر : ١/٢٦٩، ٣٦١، ٢/٣٢٨، ٣٦٨. وينظر في "كان" التامة أيضًا : الكتاب ١/٤٦، والمقتضب ٤/٩٥-٩٦، والتبصرة والتذكرة ١/١٩١، والفوائد والقواعد ٢١٦-٢١٧، وشرح الكافية للرضي ٤/١٩٠، والتذييل والتكميل ٤/١٣٨-١٣٩.

(٥) إعراب القرآن ٣/٣٩١، والكشاف ٣/٣٢٠، والمحرر ١٣/١٩٨.

(٦) جامع البيان ٢٣/٢.

(٧) إعراب القرآن ٣/٣٩١.

(٨) الكشاف ٣/٣٢٠.

(٩) إعراب القراءات الشواذ ٢/٣٦٠.

(١٠) البحر ٧/٣٣٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وغيرهم[١].

وخالف الفراءَ ومن تابعه أبو حاتم[٢] وكثير من النحويين[٣] ، فأنكروا القراءة محتجين بأنه يترتب عليها تأنيث الفعل مع أنه قد فصل بينه وبين فاعله بـــ"إلا" . وضعّفها ابن جني لهذه العلة[٤] ، لكنّه علل التأنيث بقوله :« ثم إنّه لما كان محصول الكلام : "قد كانت صيحةٌ واحدةٌ" جيء بالتأنيث ؛ إخلادًا إليه ، وحملاً لظاهر اللفظ عليه » [٥].

وتأنيث الفعل مع الفصل بينه وبين مرفوعه بـــ"إلا" مسألة اختلف النحويون فيها ؛ فذهب أكثرهم إلى المنع إلا في ضرورة الشعر[٦] ، وذهب بعضهم إلى جواز التأنيث في النثر على قلة[٧] ، ومن ثم قبلوا هذه القراءة ، وهذا هو الراجح عندي كما سيأتي تفصيل ذلك في قوله تعالى : ﴿ Pö)øS “ ìqU 7Ù° < . NåBS» ¡ B xî) # •ãẅ (qS7Ï 'ù $kÍr ìB'Ï æÓ« @ä ä‰è ﴾ ûüÎ/ÏG ΒøS [٨].

---

(١) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : معالم التنزيل ١٥/٧، والمحرر ١٩٨/١٣، والفريد ١٠٤/٤، والجامع ٢١/١٥، وأنوار التنزيل ٦٨/٧، والدر ٢٥٨/٩، وفتح القدير ٣٦٧/٤، وروح المعاني ٤/١٢.

(٢) إعراب القرآن ٣٩٠/٣، والجامع ١٥،٢١، والبحر ٣٣٢/٧.

(٣) الفريد ١٠٤/٤، والبحر ٣٣٢/٧، وفتح القدير ٣٦٧/٤.

(٤) المحتسب ٢٠٦/٢.

(٥) المحتسب ٢٠٧/٢.

(٦) ارتشاف الضرب ٧٣٤/٢، وتذكرة النحاة ١١٣، وأوضح المسالك ١١٣/٢، وإرشاد السالك ٣٠٦/١.

(٧) شرح المفصل لابن يعيش ٨٦/٢-٨٧، وشرح التسهيل ١١٤/٢، وشرح الكافية للرضي ٣٤١/٣، وتوضيح المقاصد والمسالك ٥٨٩/٢، والمساعد ٣٩١/١، وتعليق الفرائد ٢٣٠/٤.

(٨) الأحقاف : آية ٢٥. ينظر : ص٢٥٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

## ١٣ـ مجيء اسم (كان) ضمير الشأن

قال تعالى: ﴿ bÎ) ©!$# ¨bÎ) ©!$# 7‹Ïè|¹ Ÿ≅yèy_ ª!$# 4 ¨βÎ) ©!$# tβ%x. öΝèδ šχθßϑn=ôè? ∩⊇⊃∪ ﴾[١].

قال الفراء: « ومما يرفع من النكرات قوله: " وإنْ كان ذو عُسْرة" ، وفي قراءة عبد الله وأُبَيّ[٢]: " وإنْ كان ذا عُسْرة" ؛ فهما جائزان إذا نصبت أضمرت في "كان" اسمًا ... وإنما احتاجوا إلى ضمير الاسم في "كان" مع المنصوب ؛ لأن بِنْية "كان" على أن يكون لها مرفوع ومنصوب ، فوجدوا "كان" يحتمل صاحبًا مرفوعًا ، فأضمروه مجهولاً[٣]» [٤].

وردت "كان" في قراءة عبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب ـــ رضي الله عنهما ـــ : «وإن كان ذا عسرة » ناقصة تحتاج إلى اسم وخبر ، أما الخبر فمتفق عليه ، وهو قوله :"ذا عسرة" ، وأما الاسم فإن الفراء ذهب فيه مذهبًا خالف غيره من النحويين ، وإليك بيان ذلك:

---

(١) البقرة : آية ٢٨٠. ومثل هذه الآية قراءة وتوجيهًا عند الفراء : قراءة نصب "تجارة" من قوله تعالى : ﴿ bÎ) tβθãΖÏΒ÷σè? ÏM≈tƒFψ$# ÞΟn=÷ètƒ ¨βÎ) ©!$# ¨≅|Ê ô‰s% ÞΟn=÷ètƒ ﴾ [ البقرة : من الآية ٢٨٢] ، وقراءة نصب "صيحة" من قوله تعالى : ﴿ ¨βÎ) ©!$# ¨≅|Ê ô‰s% ÞΟn=÷ètƒ ﴾ [ يس : آية ٢٩] . وهي في معاني القرآن على الترتيب : ١/١٨٥، ٢/٣٧٥.

(٢) قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ـــ رضي الله عنهما ـــ في : شواذ ابن خالويه ٢٤، وجامع البيان ٣/١١٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/٣٤٢، وشواذ القراءات ١٠٢، وإعراب القراءات الشواذ ١/٢٨٤، والبحر ٢/٣٤٠.

(٣) ضمير المجهول عند الكوفيين هو المسمى عند البصريين ضمير الشأن والقصة . ينظر : الأصول ١/١٨٢، وشرح السيرافي ٣/٥٨، ومجالس ثعلب ٢/٣٨٦، والخصائص ٢/٣٩٩، وشرح الكافية للرضي ٢/٤٦٦.

وربما سمّى الفراء ضمير الشأن والقصة عمادًا كما في معاني القرآن : ١/٥١، ٢/٢١٢. وينظر : النحو وكتب التفسير ١/١٩٢.

(٤) معاني القرآن ١/١٨٦، وأشار إلى القراءة أيضًا في : ٢/٢٧٥، ٣٦٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

**توجيه الفراء :**

ذهب الفراء إلى أنّ اسم "كان" ضمير المجهول[١] ، يقول:« إذا نصبت أضمرت في "كان" اسمًا» [٢]، ثم بيّن أنّ المضمر ضمير المجهول بقوله بعدُ :« فوجدوا "كان" يحتمل صاحبًا مرفوعًا ، فأضمروه مجهولاً» [٣].

وفي توجيه نصب "لزاما" من قوله تعالى :﴿ tΒ öΝà2 ãΑθß™u‘ ’Îû ÇÚö‘F{$# (#θãΖtΒ#u™ öΝçFΖä. (#θßϑn=ôã$# ©!$# ¨βÎ) ©ÉL©9$# ª!$# ﴾[٤] نصّ الفراء على أنّ اسم "كان" في القراءة ضمير المجهول ؛ إذ قال : « نصبت اللزام ؛ لأنك أضمرت في "يكون" اسمًا إن شئت كان مجهولاً ، فيكون بمنزلة قوله في قراءة أُبيّ : " وإنْ كان ذا عسرة" » [٥].

واستشهد الفراء لما ذهب إليه بمجيء ضمير المجهول اسمًا لـــ"كان" في قول الشاعر[٦] :

---

(١) "كان" إذا أضمر فيها الشأن فهي "كان" الناقصة عند جمهور النحويين ، وذهب بعض النحويين إلى أنها تامة ، وذهب بعضهم إلى أنها قسم برأسها.

التخمير ٣/٢٨٨، وشرح الكافية للرضي ٤/١٩٠، والتذييل والتكميل ٤/٢٥١.

(٢) معاني القرآن ١/١٨٦.

(٣) معاني القرآن ١/١٨٦.

(٤) الفرقان : آية ٧٧.

(٥) معاني القرآن ٢/٢٧٥.

(٦) من الطويل ، لم أقف على قائله ، وهو غير منسوب في : معاني القرآن ١/١٨٦، وجامع البيان ٦/٨١، "دار المعارف" ، وعجز البيت يماثل عجز بيت أورده سيبويه ، ونسبه إلى عمرو بن شأس ، وصدره :

بني أسدٍ هل تعلمون بلاءنا

الكتاب ١/٤٧. وقد يكون البيت الذي أنشده الفراء لعمرو بن شأس ، واختلفت رواية صدره.

وبيت عمرو بن شأس منسوبًا إليه على رواية سيبويه في : شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٦٣، وشرح عيون كتاب سيبويه ٤٩، والأزهية ١٨٦، والإفصاح ٢٧٧، وتحصيل عين الذهب ٧١، والخزانة ٨/٥٢١.

وغير منسوب في : الانتصار ٥١، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٦١، ومعنى قوله :"لحرَّة" أي أم حرة. وقوله :"يومًا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لله قـــومي أيُّ قـــومٍ لحـــرَّةٍ إذا كان يومًا ذا كواكب أشنعا

وقول الشاعر[١] :

أعينيّ هـــلاّ تبكيـــان عِفاقـــا إذا كان طعنًا بينـــهم وعِناقـــا

فاسم "كان" عند الفراء في البيتين ضمير المجهول ، والمنصوب بعدهما خبرٌ لهما.

**التوجيه الثاني :**

أن يكون اسم "كان" ضميرًا تقديره "هو" ، يدل على إضماره ما قبله من الكلام[٢].

وهذا التوجيه عليه جمهور المعربين ، غير أنهم اختلفوا في مفسر الضمير ؛ لأنّه ليس له مفسر لفظي متقدم عليه ، وإنما مفسره هو لازم سياق الكلام قبله ، وكان اختلافهم على وجهين :

**الأول** : أن يكون التقدير :" وإن كان الغريم[٣] أو المطلوب ذا عسرة" ، وإلى هذا ذهب الطبري[٤] والزجاج[٥] وجماعة من النحويين[٦].

**الثاني** : أن يكون التقدير :"وإن كان المستربي ذا عسرة" ؛ لأن سياق الآيات كانت

---

ذا كواكب" يريد أن الشمس قد حجب ضوءها الغبار ، فظهرت الكواكب. وقوله:"أشنعا" الأشنع الذي شهر شرّه.

(١) من الطويل ، لم أقف على قائله ، وهو غير منسوب في : معاني القرآن ١/١٨٦، ٣٦٣، برواية "فعينيّ" ، وجامع البيان ٦/٨٠ (دار المعارف) . و"عفاق" : اسم رجلٍ أكلته باهلة في قحط أصابهم. الصحاح "دعفق" ٤/١٥٢٦.

(٢) البحر ٢/٣٤٠.

(٣) الغريم : من كان له دين أو عليه دين ، والمراد هنا من عليه الدين.

الأضداد لابن الأنباري ٢٠٣، والأضداد لأبي الطيب ٣٢٥-٣٢٦.

(٤) جامع البيان ٣/١١٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٥٩.

(٦) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : إعراب القرآن للنحاس ١/٣٤٢، والكشف ١/٣٢٢، والتبيان في تفسير القرآن ٢/٣٦٨، والكشاف ١/٤٠١، والمحرر ٢/٣٥٤، وإعراب القراءات الشواذ ١/٢٨٤، والفريد ١/٥٢٢، وأنوار التنزيل ٢/٦٧٥، والبحر ٢/٣٤٠، والدر ٢/٦٤٤، وروح المعاني ٢/٥٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في الربا ، وإلى هذا ذهب الفارسي[١].

والفرق بين التقديرين أن الأول يجعل الإنظار عامًّا لكل من لزمه حق ، والثاني يجعله خاصًّا بالمستربي إذا كان معسرًا ، وعلى هذا التقدير فالقراءة تخالف قراءة الجمهور : « وإن كان ذو عسرة » بالرفع[٢] ؛ لأنها عامّة فيمن لزمه حق وكان معسرًا[٣].

وخالف أبو حيان في ذلك ، فذهب إلى أن قراءة الجمهور : « وإنْ كان ذو عسرة » خاصة بأهل الربا كقراءة النصب ؛ « لأن الآية إنما سيقت في أهل الربا ، وفيهم نزلت»[٤].

وردّ السمين قوله بأنّ الحكم ليس خاصًّا بأهل الربا وإنْ كان السياق فيهم[٥].

أمّا توجيه الفراء فإنه يجعل قراءة النصب توافق قراءة الجمهور في عموم الإنظار لكل معسر؛ لأنه يقدر ضمير الشأن اسمًا لـــ"كان" ، وضمير الشأن يفسره ما بعده ، فيكون المعنى: "وإن كان الشأن الإعسار".

والراجح عندي في توجيه القراءة هو قول الطبري ومن تابعه ؛ إذ قول الفراء إنما يستقيم على مذهبه في أنّ مفسر ضمير الشأن يجوز أن يكون مفردًا.

أما البصريون فيشترطون في مفسر ضمير الشأن أن يكون جملة مصرحًا بجزأيها[٦] ، ومذهبهم عندي هو الصحيح ؛ لإمكان تقدير غير ضمير الشأن في الشواهد التي أوردها الفراء، وقدر ضمير الشأن فيها ، وكان مفسره مفردًا ، من ذلك قول الشاعر :

---

(١) الحجة ٢/٤٣٩.

(٢) "كان" في قراءة الجمهور بالرفع تامة ؛ أي : "إن وقع ذو عسرة".

(٣) الحجة ٢/٤٣٩، والكشف ١/٣٢٢.

(٤) البحر ٢/٣٤٠.

(٥) الدر ٢/٦٤٥.

(٦) شرح السيرافي ٣/٦٠، والفوائد والقواعد ٢٢٢، وشرح الكافية لابن الحاجب ٢/٧١٠، وشرح التسهيل ١/١٦٣، والتذييل والتكميل ٢/٢٧٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لله قـــومي أيُّ قـــومٍ لحـــرَّةٍ إذا كان يومًا ذا كواكب أشنعا

فالفراء يقدّر ضمير الشأن ، وسيبويه يقدّر "اليوم" ، يقول : « أضمر لعلم المخاطب بما يعني ، وهو اليوم» [١].

ومنه أيضًا : "إذا كان غدًا فأتنا" ؛ فالفراء يقدّر ضمير الشأن[٢] ، وسيبويه يجعل المضمر غير ذلك ، يقول : « وإنْ شئت قلت : "إذا كان غدًا فأتني"، وهي لغة بني تميم ، والمعنى أنه لقي رجلاً ، فقال له : إذا كان ما نحن عليه من السلامة أو كان ما نحن عليه من البلاء في غدٍ فأتني ، ولكنهم أضمروا استخفافًا ؛ لكثرة "كان" في كلامهم ؛ لأنه الأصل لما مضى ولما سيقع »[٣].

ثم إن قول الطبري ومن تابعه فيه حملٌ للقراءة على وجه لا اختلاف فيه بين النحويين، وذلك أولى.

وتوجيه الفراء هذه القراءة وما يماثلها وكذلك بعض ما ورد في ثنايا كتابه كل ذلك يزيد مذهبه المنسوب إليه في مفسر ضمير الشأن وضوحًا واستكمالاً ؛ إذ يُعزى إلى الفراء أنه يجيز أن يكون مفسر ضمير الشأن مفردًا له مرفوع ؛ فابن السراج[٤] وابن مالك[٥] نسبا إلى الكوفيين إجازة نحو :"ظننته قائمًا زيدٌ" على أنّ الهاء ضمير الشأن ، وهي المفعول الأول ، و"قائمًا" مفعول ثانٍ ، وهو مفسر ضمير الشأن ، و"زيد" مرفوع به.

---

(١) الكتاب ١/٤٧.

(٢) معاني القرآن ١/٣٦٢.

(٣) الكتاب ١/٢٢٤.

(٤) الأصول ١/١٨٣.

(٥) شرح التسهيل ١/١٦٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وبعض النحويين يجعل الأخفش موافقًا الكوفيين في إجازة ذلك[١].

ونسب السيرافي إلى الفراء أنه يجيز :"كان قائمًا زيدٌ" ، و"كان قائمًا الزيدان والزيدون" ، و"ليس بقائم أخواك" ، و"ما هو بذاهب الزيدان" ، فيجعل اسم "كان" و"ليس" فيما سبق ضمير الشأن ، والوصف الرافع لما بعده خبر الناسخ ، ومفسر ضمير الشأن[٢].

ويرى السيرافي أنّ بعض ما يجيزه الفراء يمكن أن يكون مفسر ضمير الشأن فيه جملة ، وهو قوله :"ليس بقائم أخواك" ، و"ما هو بذاهب الزيدان" ؛ إذ الوصف مع فاعله هنا جملة ؛ لأنه مبتدأ مستغنٍ عن الخبر[٣].

وخالف أبو حيان السيرافي في نحو :"كان قائمًا زيدٌ" ، فما نسبه السيرافي إلى الفراء نسبه أبو حيان إلى الكسائي ، أما الفراء فنسب إليه أنه يجعل "قائمًا" خبرًا مقدمًّا ، و"زيد" مرفوع بـــ"كان" و"قائمًا" معًا ، ولا يثني "قائمًا" لرفعه الظاهر[٤].

والذي يظهر لي أن ما نُسب إلى الفراء من إجازة كون مفسر ضمير الشأن مفردًا له مرفوع كما ظهر من التراكيب السابقة المنسوبة إليه هو بعض مذهبه في مفسر ضمير الشأن ؛ إذ لا يشترط الفراء في المفرد المفسر لضمير الشأن أن يكون له مرفوع كما ظن ذلك الدلائي (ت١٠٨٩هـــ)[٥]، بل يجيز أن يكون مفسر ضمير الشأن مفردًا ليس له مرفوع ، يدل على ذلك جعلُه اسم "كان" أو "ليس" ضمير الشأن في شواهد عدة[٦] ، منها قوله تعالى ﴿ bÎr

---

(١) ارتشاف الضرب ٩٤٨/٢، والتذييل والتكميل ٢٧٤/٢، ومغني اللبيب ٦٣٧، والمساعد ١١٥/١، وتعليق الفرائد ١٢٢/٢، ونتائج التحصيل ٦٤١/٢.

(٢) شرح السيرافي ٦٠/٣.

(٣) شرح السيرافي ٦٠/٣-٦١، وفيما ارتآه السيرافي نظر ومناقشة . ينظر : شرح الكافية للرضي ٤٦٦/٢.

(٤) ارتشاف الضرب ٩٤٨/٢، والتذييل والتكميل ٢٧٥/٢.

(٥) نتائج التحصيل ٦٤١/٢.

(٦) انظر شيئًا منها في : معاني القرآن ١٨٧/١، ٣٦٠، ٣٦٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ǫ•» f ĭ šc qâ? b& ŵĵ ﴿ : ومنها قوله تعالى ، في قراءة من نصب [١] ﴾ ǫžêã rêšc ﴿.
ŽÃl ﴿n ﴾[٢] في قراءة من نصب "تجارة"[٣] ، وقول الشاعر :

لله قـــومي أيُّ قـــومٍ لحـــرَّةٍ … إذا كان يومًا ذا كواكب أشنعا

وقول الشاعر :

أعينيّ هـــلاّ تبكيـــان عِفاقـــا … إذا كان طعنًا بينـــهم وعناقـــا

وقول العرب : "إذا كان غدًا فأتنا"[٤] ، وقولهم :"إذا كان غدوةً فأتنا"[٥] ، وقولهم : "اذهب فليس إلا أباك"[٦].

ومنصوب "كان" و"ليس" في الشواهد السابقة مفردٌ ليس له مرفوعٌ ، وهو مفسر ضمير الشأن.

وقد يكون سبب اقتصار بعض النحويين في حديثهم عن مفسر ضمير الشأن عند الفراء على التراكيب التي يكون مفسر ضمير الشأن فيها مفردًا له مرفوع أهم نظروا إلى توجيهه قولَه تعالى : ﴿ qdr Pŝê øã ŵà6 z̀ĵ•# Ǧã ŵ ﴾ [٧]؛ إذ أحد قوليه في "هو" أنه ضمير الشأن ، ومفسّره "محرم" وصفٌ له مرفوع ، هو قوله :"إخراجُهم"[٨] ، ومثل ذلك عند

---

(١) البقرة : من الآية ٢٨٠.

(٢) البقرة : من الآية ٢٨٢.

(٣) هو عاصم ، وقرأ باقي السبعة بالرفع.

السبعة ١٩٣، والتبصرة ٤٥١، والتيسير ٨٥، والنشر ٢/٢٣٧.

(٤) معاني القرآن ١/٣٦٢.

(٥) معاني القرآن ١/٣٦٣.

(٦) معاني القرآن ١/٣٦٢.

(٧) البقرة : من الآية ٨٥.

(٨) معاني القرآن ١/٥١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفراء قوله تعالى :﴿ •Bèãb¿ Ê#‹è¢Þ`Ï ¾ïÌÏ“ßî qè $Br ﴾[١] ؛ فـ"هو" ضمير الشأن، ومفسره "بمزحزحه" وصفٌ رافع للمصدر "التعمير".

ومن أمثلته في سياق توجيهه هذه الآية :"ما هو بذاهب أحد"[٢] ، وجَعْلُ الضمير في الآيتين السابقتين ضمير الشأن ، ومفسره وصفٌ له مرفوع ، وما استتبع ذلك عند الفراء من أمثلة وشواهد[٣] كان المفسر فيها وصفًا له مرفوع كل ذلك لا يعني أنه يمنع أن يكون المفسر مفردًا ليس له مرفوع.

---

(١) البقرة : من الآية ٩٦.

(٢) معاني القرآن ١/٥١-٥٢.

(٣) معاني القرآن ١/٥٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

## ١٤ـ دخول (كان) على الخبر الدائم

قال تعالى : ﴿ $ŽÏëÿø A$)ù ø‰ïn°r ø×f èR ’ír ZÏf èR bqèäóîr Ó¨óî ¼ç9 ÓÅ& #‹»d ÏbÎ) ﴾ ﴿ É=$ÜÏø$’î ’Î“ãr ﴾[١].

قال الفراء : « وفي قراءة عبد الله[٢] : «كان له» ، وربّما أدخلت العرب "كان" على الخبر الدائم الذي لا ينقطع، ومنه قول الله في غير موضع : ﴿ #Yƒ‰% 7‹’ b‰.r ﴾[٣]، ﴿ $VÏŠïmS#Yqèâî ª!$Šc ‰Ÿ2 r ﴾[٤] ، فهذا دائم ، والمعنى البيّن أنْ تدخل "كان" على خبر قد كان ثم انقطع ، كما تقول للرجل : "قد كنت موسرًا" ، فمعنى هذا : "فأنت الآن مُعدِم"»[٥].

قراءة عبد الله بن مسعود t التي وجهها الفراء ذكرها النحاس[٦] والقرطبي[٧] تبعًا للفراء ، أمّا غيرهم من المعربين فلم يتعرضوا لها فيما وقفت عليه.

وحديث الفراء عن القراءة يتضمن أمرين :

**أولهما** : أنّ الأصل في "كان" عنده أنْ تدخل على الخبر الماضي المنقطع.

---

(١) ص : آية ٢٣.

(٢) قراءة عبد الله بن مسعود t بزيادة "كان" في : شواذ ابن خالويه ١٣٠، ومعاني القرآن للنحاس ٩٧/٦، والجامع ١٧٤/١٥.

(٣) الفرقان : من الآية ٥٤.

(٤) هذا جزء من آية من آيات متعددة ، هي على الترتيب : النساء : من الآية ٩٦، ١٠٠، ١٥٢، والفرقان : من الآية ٢٧، والأحزاب : من الآية ٥، ٥٠، ٥٩، ٧٣، والفتح : من الآية ١٤.

(٥) معاني القرآن ٤٠٣/٢.

(٦) معاني القرآن ٩٧/٦-٩٨.

(٧) الجامع ١٧٤/١٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

**الثاني** : أن "كان" ربما أُدخلت على الخبر الدائم كما في قوله تعالى : ﴿ 7ﻫ‘ b‰.r %ﻫf‰% ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ $VŠm§#Yqâî ª!$šc ‰Ÿ2 r ﴾ .

وقد اكتفى الفراء بتقدير الأمرين السابقين في "كان" دون أن يشير إلى مذهبه فيها إذا دخلت على الخبر الدائم ، أتفيد الدوام بنفسها أم لا ؟ وقول الفراء : « وربما أدخلت العرب "كان" على الخبر الدائم الذي لا ينقطع » لا يدل على أنّه يرى أنّها تفيد الدوام ؛ لأنّه يثبت دخولها على الخبر الدائم ، وذلك مما لا خلاف فيه ، إنما خلاف النحويين في "كان" بعد دخولها أهي التي أفادت الدوام؟

ولهم في ذلك ثلاثة مذاهب :

**الأول** : أنّ "كان" تقتضي الانقطاع ، وإلى هذا ذهب المبرد[١] وابن الأثير (ت٦٠٦هـ)[٢] والصفار (ت بعد ٦٣٠هـ )[٣] وابن عصفور[٤] وأبو حيان[٥] والدلائي[٦]، وعزي إلى أكثر النحويين[٧].

واستدل ابن عصفور على أن "كان" تقتضي الانقطاع بأنّ العرب إذا أرادت التعجب من صفة موجودة في المتعجب منه حال التعجب قالت : "ما أحسن زيدًا" وإذا أرادت أن تتعجب من حسن قد مضى وهو حال التعجب قد زال قالت : "ما كان أحسن زيدًا"[٨].

---

(١) المقتضب ٤/١١٩.

(٢) البديع ج١/م٢/٤٦٤.

(٣) شرح كتاب سيبويه ٢/٧٨١.

(٤) شرح جمل الزجاجي ١/٤١٢-٤١٣.

(٥) التذييل والتكميل ٤/٢١٢، والبحر ٣/٢٨.

(٦) نتائج التحصيل ٣/١٢١٠.

(٧) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/٤١٢.

(٨) شرح جمل الزجاجي ١/٤١٢، والتذييل والتكميل ٤/٢١١. وينظر إفادة "كان" للمضي في جملة التعجب في : شرح المفصل لابن يعيش ٧/١٠٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

**الثاني** : أنّ "كان" تدل على وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام ، وليس فيها دلالة على الانقطاع أو الدوام.

وإلى هذا ذهب السيرافي[١] والزمخشري[٢] وابن الحاجب[٣] والرضي (ت٦٨٨هـ)[٤] وجماعة من النحويين[٥].

**الثالث** : أنّ من خصائص "كان" أن تفيد الدوام ، وإلى هذا ذهب ابن خروف[٦] وابن معط (ت٦٢٨هـ)[٧] وابن مالك[٨] وابن فلاح[٩] وغيرهم[١٠] ، وعزي إلى سيبويه[١١].

واستدل هؤلاء بقوله تعالى:﴿ $VŠïmS#Yqâî ª!$šc ‰Ÿ2 r﴾ ونحوه من آيات الصفات.

والذي يظهر لي أنّ "كان" تقتضي الانقطاع ، وأما قوله تعالى : ﴿ ª!$šc ‰Ÿ2 r $VŠïmS#Yqâî ﴾ وما يماثل ذلك من آيات الصفات فإنّ الانقطاع يتصور فيه ؛ ففي الآية السابقة يخبر الله سبحانه وتعالى عن غفرانه ورحمته قبل وجودنا ، وبقاءُ ما وصف الله به نفسه

---

(١) شرح السيرافي ١/١٥٣أ.
(٢) الكشاف ١/٤٥٤.
(٣) شرح الكافية ٣/٩٠٨.
(٤) شرح الكافية ٤/١٨٩.
(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : النكت ١/١٨٠، والتخمير ٣/٢٨٩، والفاخر في شرح جمل عبد القاهر ١/٢٢٦، والبرهان ٤/١٢٢، وتعليق الفرائد ٣/٢٢٠، والفوائد الضيائية ٢/٢٩٠.
(٦) شرح جمل الزجاجي ١/٤١٧.
(٧) شرح ألفية ابن معط لابن القواس ٢/٨٦٤.
(٨) شرح التسهيل ١/٣٦٠.
(٩) المغني في النحو ٣/٣٦.
(١٠) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : المساعد ١/٢٦٧، وشفاء العليل ١/٣٢٠، وهمع الهوامع ٢/٩٩، وشرح الفريد ٣١١.
(١١) أمالي ابن الشجري ٢/٤٨٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وثبوته له في الأزمان كلها يستفاد من دليل خارج لا من لفظ "كان"[١].

(١) المقتضب ٤/١١٩، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/٤١٢، والتذييل والتكميل ٤/٢١٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com